استيعاب الخريجين واستخدامهم ما زالت ضعيفة للغاية. ولذلك وجب أن نقف وقفة جادة أمام هذه الظاهرة، حتى نخرِّج الجامعيين القادرين على توظيف أنفسهم. فالقضية إذن قضية كيف، وقضية تخطيط يدخل في اعتباره احتياجات العمل، واحتياجات المجتمع.

ومن الموضوعات التي تشغل بال المفكرين، فيما يتعلق بالتعليم الجامعي، موضوع استقلال الجامعة، وتسييرها لنفسها، وحريتها الفكرية والأكاديمية، وانفرادها بسياسة القبول والبحث، وتوظيف الأساتذة وترقيتهم[٥٤]، لأن تحقيق مثل هذه الأمور للجامعة، من شروط تمكينها من الإبداع، في أداء مهمتها في تخريج الفنيين الأكفّاء، ممن تحتاج إليهم خطة التنمية الشاملة، وتخريج العلماء والأدباء، ممن يحتاج إليهم المجتمع والأمة بأسرها.

هذا واحد من هموم التعليم الجامعي الكثيرة، لكن الهم الأكبر، يتمثل في عجز الجامعات العربية عن أخذ مركز القيادة في إخراج الأمة العربية من دائرة التخلف. إن الجامعات العربية، بواقعها الحالي، ليست أكثر من امتداد للمدارس الثانوية. تلقّن طلبتها ما تلقّنهم، ثم تسوقهم إلى قاعات الامتحانات، حيث يكد الواحد منهم ذاكرته، محاولاً إثبات مقدرته على استعادة ما استذكره من قوانين، أو معادلات، أو معلومات، ليضمن النجاح بتقدير، حتى يتمكن من الحصول على الوظيفة المناسبة عند تخرجه. إن جامعاتنا، في هذه الحالة، أشبه ما تكون بمصانع تنتج سلعاً استهلاكية، تسد الحاجة الآنية، ولكنها لا تعمل شيئاً للمستقبل القريب أو البعيد. إننا، بطبيعة الحال، لا نستطيع أن ندّعي أننا في غنى عن تلك السلع الاستهلاكية، فهي ضرورية لتسيير حياتنا، ولكنا نقول إنها لا تكفي لتحقيق أهدافنا في نقلة حضارية ملموسة، تأخذ بيد الأمة فتخرجها من وضعها المتخلف وترتفع بها إلى مصاف الأمم المتقدمة. إننا نريد من جامعاتنا أن تتخطى كونها مصانع تنتج السلع الاستهلاكية، إلى أن تصبح منتجة للمصانع الكبرى التي تنتج المصانع الاستهلاكية إذا جاز التشبيه. إننا نطمع أن تكون جامعاتنا مراكز ثورة فكرية وعلمية تكنولوجية، حتى تتمكن من كسر حلقة التخلف المفرغة التي تدور فيها شعوبنا. ولقد أحسن الأستاذ بسام الطيبي التعبير عندما تحدث عن الجامعات العربية بقوله:

«إن حالة الجامعات العربية مؤلمة جداً؛ فهي تجسيد للتخلف، وتعبير عنه، وليست مراكز لتخريج العلماء والثوار. إن الذين درسوا في الخارج، وعادوا متحمسين للتغيير، وجدوا، هم أنفسهم، مقبرتهم في زوايا جامعاتنا الوطنية»[٥٥].

والأستاذ الطيبي يقول ذلك، وهو يتعرض للجامعات العربية من زاوية واحدة فقط، هي زاوية الكتابة العربية، فهو في واقع الحال لا يهدف إلى دراسة دور الجامعات العربية ورسالتها في التنمية الشاملة، والبحث العلمي، وتحقيق النهضة الحضارية المنشودة، ومع ذلك فإن أقواله عن مسؤوليات الجامعات العربية فيما يتعلق بتطوير كتابة عربية جديدة لها مغزاها:

«إن الكتابة العربية الجامعية المعاصرة، لم تلعب إلا دوراً ضئيلاً في الحركة الفكرية الحديثة في العالم العربي، هذا إن كانت هذه الكتابة قد لعبت أي دور. بينما نرى أن